

المحاضرة العاشرة

النظرية الماركسية (تطبيقاتها السوسيو تربوية - التقييم).

أهدافها:

- إكساب الطالب معارف عن أهم اسهامات النظرية الماركسية في معالجة قضايا التربية والنظام التعليمي، وأهم الافكار التي طرحتها.
- محاولة الوصول بالطالب الى تقديم دراسة نقدية للنظرية الماركسية، وتقييمها، لبناء فكري نقدي لدى الطالب، إضافة الى تقييمه حول مدى استيعابه لما قدم حول النظرية الماركسية وتطبيقاتها السوسيو تربوية.

1- تطبيقاتها السوسيو تربوية:

تبدو أفكار ماركس واضحة وجلية فيما يتعلق بالفكر السوسولوجي التربوي وذلك في نسق من أعماله الفكرية المعروفة وعلى الرغم من أن ماركس لم يترك أيضا كتابا متخصصا يعالج فيه المسألة التربوية كما هو الحال عند دوركهايموفبير، إلا أنه يمكن الملاحظة بأن كارل ماركس قد تطرق إلى الجوانب الاجتماعية للتربية في جل أعماله (جلالغربول السناد، مرجع سابق، ص 66).

فبالرغم من عدم تقديمه " مرجعا للتربية كجزء من نظام الطبقة الرأسمالي الذي كان سائدا في المجتمعات الصناعية الغربية، وإنما جاءت ملاحظاته عن التربية والمدرسة موزعة عن التربية والمدرسة موزعة في كتاباته، حيث كان يضع التربية في مكانة عالية، وكان محور اهتمامه يدور حول محتوى التربية والطريقة التي تؤدي بها وظيفتها في المجتمعات الصناعية، كتابات "ماركس" "انجلز" المبكرة كانت عن المذهب الوظيفي، لأنه كان يعتبر التربية عاملا هاما للتنشئة الاجتماعية للصغار، وإعدادهم للقيام بالأدوار التي يفترض أن يقوموا بها كبارا أو عند البلوغ، في الواقع نظر ماركس للعامل كفصل خارج المدرسة أكبر

من فصول المدرسة الضيقة (طارق عبد الرؤوف عامر، إيهاب عيسى المصري، مرجع سابق، ص 38).

كما تبدو أفكار ماركس التربوية صريحة عندما تعرض في كتابه " نقد برنامج غوته" إلى تحليل نقدي لمسألة تربية الأطفال في إطار الطبقة العاملة وذلك في المجتمعات الرأسمالية وأشار إلى أهمية الإكراه الذي يعانيه الآباء ومدى انعكاسه السلبي على العملية التربوية للأطفال. ويشير ماركس في كتابه " رأس المال" إلى العلاقات القائمة بين الكفاءات العلمية والتكنولوجيا للعمال المأجورين ومدى تأثير ذلك في إنتاج القيمة (جلال غربول السناد، مرجع سابق، ص 67).

ومن جهة أخرى لقد أدرك ماركس الوظائف الخاصة للتربية الرسمية، فمن خلالها تحقق الدولة الأهداف التي تصبو إليها والتي تتبع من إيديولوجيتها وفلسفتها الخاصة ومن خلالها يتم التحول الاجتماعي، وتغيير النظم في المجتمعات من الرأسمالية إلى الاشتراكية أو العكس، ولما كان هدفه وهدف نظامه في ذلك الوقت هو الانتقال بالرأسمالية إلى مجتمعات اشتراكية وشيوعية فقد وجد في التربية الوسيلة لتحقيق ذلك، وكتب "ماركس" في كولينيشرزايونج أنه من خلال التربية فإن الدولة تستطيع أن تحول أهداف الفرد إلى أهداف عامة، وتحول الغرائز غير المهدبة إلى ميول أخلاقية وتحول الاستقلال الطبيعي إلى حرية روحية وذلك عندما يجد الفرد أن صلاحه في الحياة بالجميع، وأن صلاح الجميع في إطار فكر الفرد (طارق عبد الرؤوف عامر، إيهاب عيسى المصري، 2015 ، ص 38).

ويمكن فهم وتلخيص ما سبق في القضيتين الهامتين التي طرحها ماركس وهما:

- اعتبار التعليم وسيلة هامة في تحرير أبناء الطبقة الدنيا، والسير بهم نحو الشيوعية، التي تضمن لهم جميع حقوقهم في التعليم المتساوية (تكافؤ التعليمية).

- أما النظام الرأسمالي فيرى ماركس وإنجليز أن التعليم في خدمة الطبقة الرأسمالية، ويعمل على المحافظة على مكانتها ومصالحها، وإخضاع الطبقة العمالية لها.

حيث يرى أن التعليم هو أداة لإضفاء الشرعية على الأوضاع الطبقيّة نفسها على النظم التعليمية ومخرجاتها. فهو انعكاس لهيمنة الرأسمالية.

ويرى ماركس وأتباعه أن النظام الرأسمالي يكرس اللامساواة وعدم تكافؤ الفرص، وما يشهده المجتمع المدرسي خير دليل على ذلك حيث يرى أن الرأسمالية تعمل على توريث " الظلم وعدم المساواة فهنا نحن نتعلم أن الأفراد لا يمتلكون فقط قدرات مختلفة وإنما يمتلكون كذلك قدرات أفضل وأسوأ. إن الأطفال المتفوقين ينجحون ويتم مكافئتهم من خلال الدرجات العالية ونتائج الامتحانات. أما الأطفال أو التلاميذ الأقل كفاءة فإنهم يستحقون درجات أقل من أقرانهم الأذكى. ما هو أفضل تدريب في الحياة الاجتماعية حيث يتم الحكم على القدرات المختلفة كأفضل أو كأقل قدرات ومن ثم الحكم عليها بعد ذلك؟. إن الخبرات في المجتمع المدرسي قد تشجع الأفراد فقط ليؤمنوا بأن عدم المساواة في المكافأة هي عدل في حد ذاتها ومثل هذه المعتقدات يتم التعبير عليها بشكل عام من خلال اغتنام مجموعة من الآراء ومنها: بالطبع يجب الدفع للأطباء أكثر من المنظفين في الشوارع أو أعمال النظافة حيث أنهم كأطباء يقومون بوظيفة أكثر أهمية " إن التوزيع غير متساوي للمكافأة بين الوظائف أو بصيغة أخرى " أي فرد قد يصبح عامل نظافة أما الأفراد القادرون والأذكى المهرة هم فقط من يصبحون أطباء " ان الانجاز داخل المجتمع غير المتساوي هو فضيلة وبطريقة أساسية فإن التعليم مع تأكيده الداخلي على المنافسة والنجاح أو الفشل أو على الفضيلة والريزية حيث يتم تدريس عدم عدالة عدم المساواة لأفراد المجتمع الرأسمالي وبشكل خاص مصطلحات " الأقل كفاءة" و" الفشل" وكذلك قبول وتوقع المكافأة الأقل في الحياة (فليب جونز، 2010، ص 107-108).

وهذا التحليل يبين العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية وأيهما أكثر تأثيراً، وكذا يظهر مكانة الذي يملك القوة أو السلطة في المجتمع الطبقي، فالطبقة الحاكمة هي التي تقرر وتممر أفكارها تلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية والمدرسة ووسائل الاتصال على رأسها. لذا يقول ماركس أن الافكار الحاكمة في كل عصر هي أفكار الطبقة الحاكمة.

2-تقييم النظرية:

لقد تركت أعمال ماركس أثارا بعيدة المدى على عالم القرن العشرين، وكان أكثر من ثلث سكان المعمورة يعيشون إلى عهد قريب في مجتمعات مثل الاتحاد السوفياتي وبلدان

أوروبا الشرقية، في ظل حكومات تدعي أنها تستلهم عقائدها وسياساتها من أفكار ماركس (أنتوني غندر، 2005، ص 70).

وبالرغم من الاسهامات التي قدمها هذا الاتجاه فيإثراء النظرية السوسيولوجية إلا أنها قدمت لها انتقادات من أبرزها:

-عدم كفاءة الماركسية في تفسير العلاقات الطبقية في انماط المجتمعات المغايرة للنمط الرأسمالي.

- إن المصطلحات المستخدمة غير واضحة وتحتمل أكثر من معنى.

- إن تفسير ماركس اقتصادي أحادي الجانب ويعد ضربا من الميتافيزيقا حيث لا يمكن تطبيقه في المجال الاجتماعي على عدد كبير من العلاقات المختلفة للظاهرة، تك العلاقات ذات الاعتماد المتبادل سوركين.

- إن هذه النظرية تقف عاجزة تمام حينما تتناول الفعل الاجتماعي، وتصف الخيوط التي تحرك تلك الدمي " البشر يتحولون إلى دمة للبنية الاجتماعية" رغم فائدتها في تحليل البنى الاجتماعية.

- ترى الماركسية وكأنها وحدة واحدة على صعيد النظرية والممارسة معا، أي أن نرى فيها نظاما شموليا يتبنى مجموعة من التعاليم المتحجرة عن العالم، وهي أقرب إلى الدين منها إلى العلم (زعيمي مراد، مرجع سابق، ص 5).

أما فيما يخص النقد الذي وجه إلى هذا التصور الماركسي للتربية أكد على أن البحث التربوي والاجتماعي يقع كثيرا في منزلق الجبرية الاجتماعية - التي لا ترى في التربية سواء أنها وسيلة لإعادة الإنتاج مع أنها كمؤسسة اجتماعية تتمتع باستقلالية نسبية هامة عن

شروط ومواصفات المحيط الاجتماعي الذي تتدرج فيه (مصطفى محسن، 2002، ص
42-43).